



وهرة

65

# الناج المسروق

علاء الدين طعيمة



دار البعثة

سنة ١٤٣٦



# مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمغامرات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمدرسة

دار الدجوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة التاج المسروق

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانوني: ٢١٩٨ / ٢٠٠٦م

الترقيم الدولي: 3 - 386 - 253 - 977

### تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي  
أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط  
فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار النجوم للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٢٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

# جوهرة التاج المسروق

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم

عبد الرحمن بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرخ أن يعثر الإنسان على تاج أثري عتيق  
خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة  
عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى  
للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر في  
رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض  
للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر  
وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفي  
كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان-  
يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

يشعر المرء إذا سُرق منه شىء بشعور بغيض..  
 ويشعر أن من يسلبه حقه بدون إذنه.. أنه قد سلب  
 روحه.. ومهما كان الشىء المسروق ثميناً أو رخيصاً..  
 فإن المسروق يحزن ويتمنى لو أمسك بهذا اللص الذى  
 خدعه وغافله ونهب ممتلكاته.. لكن من العجيب أن  
 يكون الشخص المسروق قد مات منذ مئات السنين، وأن  
 الذى يشعر بالحزن لذلك هو أحد أحفاده، فكيف حدث  
 هذا الكلام ومتى؟

كان مؤمن يُرصّع تاجه العتيق بآخر جوهرة.. وكان  
 سعيداً إلى حد كبير.. ووقف يقول فى نفسه:

هذا التاج لا يوجد فى الدنيا مثيل له.. يجب الآن أن  
 أعثر على جواهره المتبقية.

مغامرات محببة جداً

وأخذ يعد الجواهر الكبيرة التي كانت تزين إطار التاج السفلى وقال وهو يراقب بريقها الأخاذ:

- بضع وستون جوهرة حتى الآن.. ولكن يا ترى كم احتاج من جواهر صغيرة من الماس حتى أرصع جميع التاج.. يا إلهي.. هذه الثقوب تعد بالمئات.. متى يا ربي سأجمع كل هذه الجواهر؟! ودخلت عليه أمه وهو في المخزن القديم وقالت له:

- يا مؤمن.. ماذا تفعل هنا إلى هذا الوقت المتأخر؟

- أتأمل التاج يا أمي.. قمت حتى الآن ببضع وستين مغامرة حصلت فيها على أكثر من ستين جوهرة... ولكن انظري... مازال أمامي النوع الآخر من الجواهر.. إنه عدد أكبر من أن يُحصى.

- يا إلهي.. نعم.. إنها الجواهر الصغيرة... الألماسات.... يبدو أنك ستحتاج إلى عمر جديد من



أجل هذا التاج.. ويبدو أنك على أعتاب مغامرة جديدة... تعال... فهناك شاب غريب ينتظرك فى ردهة البيت.

- شاب غريب... من هو؟...

- لا أدري يا مؤمن ولكن يبدو من مظهره أنه مستعد للسفر أو أتى من سفر.. تعال يا ولدى... تعال واستقبل ضيفك.

- إذن يا أمى... أعدى لنا عشاءً طيباً وضعى فيه أحسن ما عندنا من طعام.. فقد وصّانا نبينا وحبينا المصطفى ﷺ بإكرام الضيف.

- أعلم يا ولدى... هيا بنا.

ونزل مؤمن من المخزن.. وتوجه إلى الردهة.. فوجد شاباً قوياً عليه سمات المسافر، فأقبل عليه وهش له:

## مغامرات محببة جداً

- أهلاً أهلاً... أهلاً وسهلاً.. كيف حال ضيفنا فى بيتنا.

- على خير حال.. ونعم المضيف أنت يا مؤمن.

- تفضل بالجلوس.. تفضل.

- وتعرف مؤمن على ضيفه ثم تناولا الطعام، وشكر له

الضيف ذلك، ودام الحوار المتفاهم بينهما... فالضيف

هو بلال المشرقى.. من بلاد اليمن.. جاء إلى مصر

خصيصاً لمؤمن.. بعدما سمع عن بطولاته ومغامراته

وإنجازاته المشهورة.

- وأنا لن أجد يا صديقى مثلك كى يعاوننى فى العثور

على التاج.

- تاج؟!.. أى تاج؟

- هذه حكاية طويلة... منذ نعومة أظافرى وأنا أقرأ

مذكرات جدى السابع... كان ملكاً من ملوك



## مغامراته لمحبيبة جداً

اليمن ... كان قوياً وله جيش عرمرم.. وملك تليد...  
وعلى كل... لا ينبغي أن أقص عليك الحكاية  
الطويلة... كل ما فى الأمر أننى فى حاجة ماسة إليك  
لنعثر على تاج جدى القديم.

ضحك مؤمن وقال:

- ماذا تظننى يا بلال... أخطأ من قال لك إننى ساحر...  
أضرب الأرض بعصاى فأخرج لك تاج جدك  
المفقود... لا يا صديقى مؤمن ليس كذلك... يجب  
أن تعلم أننى أفكر جيداً فى تلك المشكلة.. وأجتهد  
من أجل الانتفاع بما لدى من معلومات حتى يتوافر  
لى السبيل لذلك.. يجب أن تحكى لى الحكاية من  
أولها لآخرها.. وعندئذ سنحدد.. هل يمكننا فعل  
شئ أم لا..

- لا يا مؤمن... لا... أنا لن أخرج من هذا البيت إلا وأنت معي... وإذا كان الأمر ضرورياً إلى هذا الحد... فاستمع يا أخى لحكاية جدى:

- كانت قوة جدى تزداد يوماً بعد يوم... ولم يكن يدرى على الإطلاق سر قوته وملكه العظيم.. حتى فعل مثلما فعلت أنا.. أخذ يغوص فى مكتبته القديمة ويخرج أمهات الكتب العتيقة حتى علم من الأوراق والنصوص.. أن السر يكمن فى التاج الملكى الذى يضعه فوق رأسه.. وأخطأ جدى عندما لم يحفظ هذا السر عن الناس... بل على العكس.. أخذ يبوح به.. ويفتخر بأن لديه هذا التاج العجيب... وكان يظن أنه طالما يملكه.. فليس لأحد قدرة على منازعته فى ملكه... ولكن أهل الشر كانوا بالمرصاد.. وحاول

## مغامرات عجيبه جداً

حاشيته أن يغتالوه من أجل تاج الملك العجيب.. لكنه  
كان يعرف مبكراً.. ويقاوم الشر... حتى حدث شيء  
عجيب يا مؤمن.

- وما هو؟

- بدأ التاج فيما يبدو يفقد عجائبه وقدراته الفائقة...  
فقد أخذ كل شيء ينهار بسرعة غريبة... وانهزمت  
جيوش جدى... ونهبت ثرواته.. وذاب ملكه حتى  
أصبح فقيراً.

- يا إلهى.. وكيف حدث ذلك.. وماذا جرى لجدك بعد  
ذلك؟

- ظل جدى محتفظاً بالتاج.. وحارب بسيفه حتى لا  
يؤخذ منه.. وفر هارباً من البلاد إلى أن أتى موعد  
موته... كان من حوله يريدون معرفة المكان الذى خبأ

فيه التاج... لكنه لم يخبرهم بأى شىء.. ومات  
جدى... وفشل كل أحفاده فى العثور على هذا  
التاج... وها قد أتى دورى لأعيد المحاولة.. وكلى  
أمل فى العثور عليه.

أخذت مؤمن الدهشة من هذا الشاب الذى يبحث  
عن شىء، فشل كل القدامى على مر عصور متعاقبة فى  
العثور عليه.. لكنه احترام فيه التصميم، ولم يشأ أن  
يحبطه أو أن يقلل من أهمية رغبته العارمة، ولكنه قال:  
- يا بلال... أنا لا أريد أن أدفعك إلى مالا ترغبه..  
لكننى أرى أنك أمام مهمة شاقة... وقد يحالفك  
النشل فيها.. وإنى أسأل: ما هو دافعك من أجل هذه  
المغامرة الكبيرة... هل تعتقد أن على المرء بذل الجهد  
فى أمر غير ذى نفع؟

- إذا كان كما تزعم... فكيف انهار ملك جدك التليد والتاج فوق رأسه... لماذا لم ينفعه التاج فى إنقاذ حاله السيئ؟؟!

شرد بلال قليلاً ثم قال:

- هناك حلقة مفقودة يا مؤمن فى مذكرات جدى... وكان يجب عليك أن تحلل القصة بشكل أفضل... لماذا لم تسأل نفسك.. إذا لم يكن هذا التاج حقاً على قدر كبير من الأهمية.. فلماذا استمسك به جدى حتى بعد انهيار كل شىء.. ولماذا.. لماذا ظل الآخرون يطاردون جدى ويتعقبونه من أجل هذا التاج وقد قصصت لك ذلك... ففكر يا صديقى.

شعر مؤمن بالحيرة.. وأدرك صدق ومنطقية كلام بلال... وأخذ يتساءل هو الآخر... لماذا التاج... لماذا؟..



ما الذى جعل الجد الملك.. يفرط فى كل شىء إلا هو؟... ولماذا ظل الناس يطلبون هذا التاج بعد زوال ملكه الكبير؟

- ماذا قلت يا مؤمن... هل تخرج معى للبحث عن التاج المفقود؟

- أعتقد يا بلال أن المسألة جديرة بالاهتمام... وأعتقد أيضاً أن على الاستعداد للخروج معك... انتظرنى قليلاً.

كان الوقت ليلاً عندما كان مؤمن يقفز فوق صهوة جواده ويتحرك بهدوء متقدماً إلى بلاد اليمن مع صديقه الجديد بلال المشرقى... وعندما لاح نور الصباح وكانا قد تركا العمار إلى الصحراء.. قال مؤمن لبلال والجوادان يتمهلان:

- هل توصلت إلى احتمالات عن أماكن البحث عن التاج يا بلال؟

- عندما نصل إلى اليمن... سأطلعك على كل الوثائق.. وسندرس سوياً من أين يمكننا أن نبدأ البحث يا صديقى.

ومرت عليهما الأيام والليالي وهما يمران عبوراً من القارة الأفريقية إلى القارة الآسيوية... حتى وصلا فى ذات صباح إلى اليمن.. وكانا فى حالة من التعب والإجهاد.. فلما وصلا إلى بيت بلال.. سارع الخدم إلى إعداد الحمّام والطعام.. وعجب مؤمن أن (بلال) شاب ثرى لديه بيت جميل وفخم وخدم وحشم:

- عجباً لك يا بلال.. أكل هذا الخير عندك وتبحث عن التاج؟!

- أريد أن أعيد الملك إلى عائلتنا يا مؤمن... إن الملك الذى يحكم البلاد الآن.. ملك ظالم طاغ.. يسلب الناس حقوقهم... ويسألهم أن يعطوه حقه.. ولولا انشغالى بالبحث عن التاج.. لقمتم بعمل حملة عسكرية وجندت فيها الناس من أجل نزعهم من مكانه.

- عفواً يا صديقى.. عفواً... لا يحق للناس أن ينادوا السلطان وأن ينزعوه من مكانه... إلا فى حالة واحدة.

- وما هى يا صديقى الحبيب؟

- هل يسمح هذا الملك بأن تقام الصلوات فى المساجد ويرتفع الأذان يدعو الناس لها؟

- نعم.. بل هو يشجع على إقامة الشعائر الدينية.. لكنه ظالم.

## مغامرات محببة جداً

- يا صديقى.. لكم أن تنصحوه... لكم أن تكرهوا أفعاله السيئة.. ولا تشجعوه عليها.. ولكن أن تقوموا عليه لتنزعه من مكانه وهو مازال يقيم شرائع الله فى البلاد.. فهذا ما يأباه الله ورسوله ﷺ.

- كيف ذلك يا مؤمن بالله عليك؟

- قال رسول الله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»... وفى حديث رواه مسلم.. سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله... أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا.. فما تأمرنا.. فأعرض عنه النبي ﷺ.. فعاود ثم سأله نفس السؤال.. فقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا.. فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».



الشيخ الموفق



- وهل يعنى ذلك أن نتركهم على ظلمهم ولا ننزعهم من مكانهم يا مؤمن.

- يقول رسول الله ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر.. فإنه من خرج من السلطان شبراً.. مات ميتة جاهلية.. ومن أهان السلطان أهانه الله».. وقال أيضاً: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم.. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» فقال رجل: يا رسول الله.. أفلا نناذبهم؟ أى ألا نقاتلهم.. قال ﷺ: «لا.. ما أقاموا فيكم الصلاة».. يا بلال.. سلطان غشوم خير من فتنة تدوم.. يا بلال قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله.. ومن عصانى فقد عصى الله.. ومن يطع

الأمير فقد أطاعنى .. ومن يعص الأمير فقد عصانى».

- كلام طيب يا مؤمن. فما الذى يمكننا عمله مع ذلك؟  
- الذى أعرفه.. أن الرسول ﷺ لم يُحرم طلب السلطان.

- لا أفهم.. ماذا يعنى ذلك؟

- يعنى أنك ممكن أن تطالب بأن تكون ملكاً أو سلطاناً.. تكافح من أجل أن تكون أنت الأمير... لكن مع وجود أمرين.. أولهما: أن الإمارة والمسئولية عن الناس كما قال الرسول ﷺ أمانة.. وإنها يوم القيامة خزى وندامة.. إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها.. والأمر الثانى أن تطلبها بالطرق الشرعية المسموح بها وألا تشعل الفتنة فى البلاد من أجلها.. وإلا فقد أغضبت الله.

شعر بلال بالقلق وقال:

- إذن دعنا يا مؤمن من هذا الأمر الشائك.. وهيا نفكر  
الآن فقط فى أمر التاج المفقود.. قلبى يحدثنى أننا إذا  
عثرنا عليه فسوف نصل إلى حسم هذا الاختلاف  
بيننا.. هيا بنا نتناول الطعام.. فلا بد أنك جائع مثلى.  
مضى الوقت وأكلا واغتسلا واستراحا.. وجاء الليل  
فذهب بلال بمؤمن إلى حجرة المكتبة.. وفيها رأى مؤمن  
ما أسال لعبابه.. فهو يعشق الكتب القديمة.. ويتمنى لو  
قضى حياته بين أوراقها.. يتعلم من القدماء ويتعلم  
تاريخهم ويأخذ منه العبرة..

- ها هى الأوراق يا مؤمن والوثائق.. ومذكرات  
جدى.. يجب عليك الآن أن تقرأ كل هذه الأوراق..  
أمانا الليل بطوله.



وكانت ليلة مرهقة ومثيرة فى ذات الوقت... وبعد  
أن أنهى مؤمن القراءة جلس إلى بلال يتفاهمان  
بخصوص ما وصلا إليه.

- هل وصلت فى قراءاتك إلى ما وصلت إليه أنا  
يا مؤمن؟

- فى الحقيقة.. أنا لم أجد إلا احتمالاً واحداً.. بما أن  
جدك فر هارباً من اليمن ووصل إلى أقصى الحجاز  
وليس معه التاج.. فلا بد أنه قد أخفاه فى مكان قبل  
وصوله إلى هناك.

ابتسم بلال وصاح رافعاً ذراعيه:

- هذا ما وصلت إليه أنا أيضاً يا مؤمن.. وأضيف لك..  
إننى أشك فى مكان واحد.. مكان واحد يمكن أن  
يكون التاج مخفياً فيه..

- أعتقد أنك تظن ما أظنه بالتحديد.. ألا تقصد أن جدك عندما مكث فى المنطقة الوسطى من أرض الحجاز وقتاً طويلاً قبل وصوله إلى العمار استطاع بمفرده أن يخفى التاج هناك؟

- بلى يا مؤمن.. بلى.. أنت ذكى.. ولذلك يجب أن نذهب إلى منطقة الشعاب الوسطى.. ونبحث هناك بكل ما أوتينا من قوة حتى نعثر عليه.. ماذا قلت.. هل نخرج فى الصباح الباكر... أنا لا أطيع الانتظار؟

- وهو كذلك.. ولو أننى أريد تحذيرك من أمور خطيرة يا بلال... من خلال خبرتى ومغامراتى الطويلة.. سمعت أن المكان الذى تريد الذهاب إليه يعج بالأخطار.. وفى الحقيقة أنا فى دهشة حتى وقتنا هذا.. فى دهشة من جدك.. كيف استطاع العيش

هناك كل هذا الزمن.. إنه مكان قاس يا بلال.. هذا وإن كان يغرينى بالتحدى.. إلا أننا لا يجب أن نلقى بأيدينا إلى التهلكة.. ماذا قلت يا صاحبي؟

- لا تحاول أن تشينى يا مؤمن عن هدفى.. أى شىء ممكن أن نقابله هناك؟

قام مؤمن يتمشى وهو يتكلم:

- هناك.. درجة الحرارة لا يتحملها إنسان فى النهار... أما بالليل.. فالبرودة قارصة.. وإنا كنا نملك تحمل ذلك.. فأنا أعلم أنه ليس هناك منطقة تعج بالذئاب والضباع والأسود مثل تلك المنطقة.. ودعك من كل هذا.. فلا ماء ولا طعام.. إنها صحراء قاحلة.. لولا تلك الشعاب لما عثرت على ظل يحميك من الشمس.. هذا بخلاف الهوام السامة التى ترعرعت

فى بيئة لم تزعجها فيها خطوات المسافرين... وإن كنت تريد المزيد.. فإن بحار الرمال مثل الفخاخ القاتلة.. كأن أباراً حفرت فى كل مكان.. الماء فيها عبارة عن رمل لا تميزه عن الأرض الصلبة.

- يا إلهى... مؤمن... ما هذا... «يضحك»... يبدو أنك مازلت تريد الإضافة.

جلس مؤمن وهو يقول:

- الشئ الأخير.. الذى لا تعرفه... أن هذه المنطقة بانعزالها عن الدنيا غدت من زمن مأوى لقطاع الطرق.. وأهل الإجرام المنحرفين.

- الله أكبر.. ها قد أكملت الصورة حتى أصبحت قائمة.. مؤمن.. كيف بالله عليك عاش جدى فى هذا المكان؟

- الله وحده الذى يعلم ذلك يا صديقى .. على .. أنا مستعد .. وأحب أن أواجه الخطر فى سبيل الخير والحق.

- إذن علينا يا مؤمن أن نأخذ معنا بعض الرجال الأشداء .. لا يمكننا الذهاب بمفردنا إلى هناك ... أليس هذا رأياً سديداً؟

- كنت سأطلبه منك إن لم تعرضه .. إنها رحلة شاقة .. ولولا حماسى لمعرفة هذا التاج لما طاوعتك أبداً.

ومضى الليل وأتى الصباح وأخذ بلال يدور فى البلد مع مؤمن .. وهما متجهزان للسفر .. يحاول بلال أن يجد رجالاً لمساعدتهما فى الرحلة، إلا أنه جوبه بالرفض الشديد .. ولم يقبل أى واحد من أهل البلد أن يذهب إلى هناك مهما كان العائد كبيراً.

## مغامرات عجيبه جدا

- لا تتعب نفسك يا بلال.. لن يرافقنا أحد.. هذا يثبت لك أننا فى مغامرة بمعنى الكلمة.. وأنا أحمقان إلى أبعد حد.. هيا بنا نتوكل على الله.

- تبا لملك هذه البلاد.. تبا له.. كيف جعل بسلطانه المتجبر قلوب الشباب خاوية من الشجاعة.. فلم نجد رجلا واحدا لا يهاب الموت.

- لا تسب السلطان يا صديقى.. فإنما يولى الله على الناس واحدا منهم.. ومن أعمالكم سُلط عليكم.. ولو صلح الناس كلهم.. لكان سلطانهم صالحا.. ولو فسد الناس كلهم.. فلن تجد لهم سلطانا إلا كان فاسدا.

- حيرتنى معك يا مؤمن.. لقد بدأت أكره كل شىء.. لقد كرهت بلدتى هذه وملكها.. وودت أن أذهب فلا

أرجع إليها مرة أخرى عسى أن يأتيها بريح تقتلعها  
من جذورها.

- ضحك مؤمن وقال:

- ستثبت لك الأيام أنك كنت على خطأ.. لا يجب أن  
يفكر الإنسان بهذا الشكل... يحب بسرعة ويكره  
بسرعة.. إنما عليه أن يفكر ويفكر ويفكر.

وكان هذا آخر ما بينهما من كلام.. فلقد انطلق  
الاثنان بجواديهما بسرعة عالية، يثيران الغبار خلفهما..  
وكلهما عزمٌ على تحدى المجهول وقهر الصعاب..  
وطويا الأرض طيًّا.. والتهما المسافات التهامًا..  
وأخذت الشمس تأتى وتذهب والليل يتعاقب.. وكأنما  
اليوم يغمض عينيه ثم يفتحهما وهما ما بين ظعن  
وسفر.. وتعب وراحة.. واقترب الهدف الضال.. لكن

مغامرات محببة جداً

يا ترى أين هو وسط هذه الشعاب والصحارى  
الشاسعة؟

- بلال.. استبعد يا صديقى.. نحن الآن فى المكان  
المحدد..

- نعم أعتقد أننا سنبدل جهداً للبحث عن مكان يصلح  
لأن يكون جدى قد عاش به.

وتقدما حيثاً وبهدوء وتوغلا فى المكان الذى قد  
امتلا بشعاب جبلية عشوائية، وكان مؤمن ينظر تحت قدم  
الحصان كلما تقدم.. متوخياً الحذر ألا يجد نفسه  
وجواده يغوصان فى بثر الرمال المتحركة.. وأخذ يحذر  
(بلال).. واستطاعا بجهد شديد وتركيز عميق أن يتجنبا  
هذا الخطر.. وظلا يجوبان وادياً كبيراً.. وكان الوقت  
ينزع للغروب... فلما أتى الليل بحثا عن مغارة نظيفة،



فأويا إليها وبعدها ربطا الجوادين وفرشا ما كان معهما من الفرش.. حمل مؤمن حزمة حطب كان يحملها على فخذ جواده دائماً لمثل هذه الظروف.. ثم أشعل بعضاً منها فأنارت المغارة.. وشعرا بتعب وإرهاق.. ثم ما لبث أن اشتد البرد وتحول إلى صقيع.. وأخذ كل منهما يقترب من الآخر.. وكاد بلال أن يحرق يديه بالنار من شدة اقترابه منها ليتدفأ.

- بلال.. انتظرني.. سأحضر الجواد.. ستدفاً به.

ظن بلال أن مؤمن سيذبح الجواد ويشويه.. لكنه فوجئ به يأتي بالجواد ويجلسه ثم يطلب منه أن يرافقه في الجلوس في حضن الجواد الذي كان جسده ساخناً من شدة التعب والإرهاق في الرحلة.. ومع كل هذا كان البرد شديداً.. ومرت الليلة ولم يتمكن أحدهما من

النوم، برداً وارتعاداً.. ولما طلع النهار كان الضباب شديداً.. واختنق به الجواد وارتفعت درجة الحرارة إلى حد لا يطاق..

- أشعر يا مؤمن أننى مثل سمكة على شواء.. هيا بنا نأوى إلى ظل مغارة.

- ظل مغارة؟! ما هذا يا بلال.. أبالليل مغارة وبالنهار مغارة.. متى إذن سنعثر على ضالتنا.. تحمل تحمل.. وأرجوك.. لا تفرط فى تناول الماء هنا.. لا أعتقد أننا يمكننا الحصول على قطرة واحدة.. تقدم.

كان يسيران بحذاء الجبال يحاولان الاحتماء بظل لا يدوم.. وكانا يبحثان عن أثر يخبرهما بالمكان الذى كان يعيش فيه الجد الملك منذ مئات السنين، وأحس مؤمن



أنه قد ارتكب حماقة بأن أقحم نفسه فى هذه المغامرة  
المبهمه.

ومضى النهار تلو الآخر، وبدأ الطعام ينفد.. والماء  
قارب هو الآخر أن يزول، واستبد بهما القلق.. وكانت  
ليلة شديدة البرودة.. ناما سوياً من شدة التعب فى  
المغارة.. وأخذت شعلة النار تخمد رويداً رويداً حتى لم  
يتبق منها إلا رماد مشتعل.. أحس مؤمن بحركة غريبة..  
فتح عيناً واحدة.. نظر إلى عدة عيون تراقبهما فى تحفز..  
أحس بالرعب.. عرف أنها ضباع مفترسة تنظر لفريستها  
قبل التهامها.. حمد الله أن الجوادين ينامان فى جوف  
المغارة وإلا كانا فريسة سهلة.. مديده برفق وحذر إلى  
جراب السيف بجانبه وباليه الأخرى أخذ يوقظ بلال  
وهو يهمس:

- بلال.. بلال... بلال... إياك أن تبدى أى حركة...  
إياك.

كاد بلال أن يصعق من هول الموقف... الضباع  
تقف أمام باب المغارة فى تحفز لا يظهرها إلا ضوء  
القمر.. كان اللعاب يسيل من بين أنيابها الحادة  
المتعطشة.. تمنى مؤمن لو كانت النار مستعرة.. لما تجرأ  
أحدها على التقدم.. استطاع بلال أن يمسك بسيفه  
وقال له مؤمن:

- أماننا أربعة ضباع... هل تعرف ما ينبغى عمله  
يا بلال؟

- أعرف أعرف.. ولكن هل سيظلون ينظرون إلينا  
هكذا يا صاحبي.. ألن ينتهى هذا الكابوس؟

- ساعد حتى ثلاثة.. أنفهمنى.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.

فى العدة الثالثة قفزا على قدميهما وكل منهما  
يمسك سيفه بيديه.. فحدثت وثبة سريعة وخاطفة من  
الضباع.. تمكن مؤمن بحركة عرضية بسيفه أن يطيح  
برأسين.. أما بلال فقد أطاح برأس واحدة.. ووثب عليه  
الضبع الأخير فأسقطه أرضاً.. وأدرك أنه ميت لا  
محالة.. وقبل أن ينشب الضبع مخالفه فى رقبتة كان  
سيف مؤمن أسرع فى طعنه طعنة قاتلة:

- الحمد لله.. الحمد لله.. كدت أن أصبح لقمة سائغة فى  
فم هذا الضبع الحقيقير.

- نحمد الله الكريم.. هيا بنا يا بلال نخرج هذه الجثث  
من هنا.. هيا.

- لا يا مؤمن.. لا.. يجب أن نرحل من هذا المكان  
اللعين.. يجب أن نرحل.. لقد تعبت أعصابي.. لم  
أعد أحتمل هذا الرعب والتعب.. لا حاجة بي إلى  
التاج الذى سيضيع عمرى من أجله.

ضحك مؤمن وهو يسحب جثث الضباع من المغارة  
وقال:

- ستموت قبل أن تعود إلى اليمن يا بلال.. كن  
عاقلاً.. لقد نفذ الطعام والماء.. ولا بد أن نعمل  
للبقاء على قيد الحياة قبل أن نهلك جوعاً  
وعطشاً... فلا يمكننا معاودة السفر والرحيل وليس  
لدينا ما نقتات به.. وأرى أننا قد نلنا قسطاً وافياً من  
النوم حتى الآن.. وعلينا التحرك فى هذا البرد

لتدفأ ونقطع الوادى بحثاً عن مصدر للماء أو  
الطعام.

عندما يكون المرء جائعاً فهو خير له من أن يكون  
عطشاً.. كذلك فحكمة مؤمن من البحث ليلاً كانت  
جيدة.. لأن الحر الفظيع فى النهار سيسلب الماء من  
الجسم وسيجعلهما يستسلمان للموت.

البرد قارص والرياح عاصفة وهما يترنحان فى ضوء  
القمر يبحثان عن الحياة... وظلا طوال الليل دون  
جدوى.. إنه مكان لعين.. مكان يأبى أن يحمل بين  
جنباته إلا الموت.. الموت فقط.

- مؤمن... لا أريد أن أموت يا أختى.. لا أريد.. أنا  
أتجمد من البرد.



- تمالك يا بلال.. إصرار المرء على الحياة وإيمانه بالله  
يمده بالقوة على البقاء..

أحس بلال أنه سمع صوتًا.. توقف وأمسك بذراع  
مؤمن:

- صه.. مؤمن.. هل تسمع شيئًا، أهو الوهم.. أم أنا  
على يقين؟

- بل أنت على حق.. أكاد أسمع صوت أناس  
يتكلمون.. من أين يأتى صوتهم؟!  
أخذوا يدوران حول بعضهما..

واستمررا بعد ذلك يتحركان حتى اقتربا من الصوت  
فوجدوا نفسيهما على باب مغارة كبيرة.. دخلاها بهدوء  
وقال بلال:

- مؤمن نحن هنا منذ مدة كيف لم نر هذه المغارة من قبل؟!

- هذا ما يسمى بخداع التضاريس.. الصحراء لمن لا يعرفها تعتبر كالماتاهة.. كن حذراً يا بلال.. الصوت أصبح قريباً.. من هم يا ترى؟ الأربعون حرامى؟

ضحك بلال وهو يرتعد ويفرك يديه ببعضهما..  
وتقدما للأمام.. المغارة متشعبة.. لكن ضوء نار يأتى من  
جهة تجذب المغامرين الاثنين.. تقدما بهدوء شديد...  
وأصبحا على بعد خطوات من المتحدثين، كان مؤمن  
يتمنى لو كانوا من الأخيار فيدخل إليهم ويعرفهم  
بنفسه.. لكن الأمر لم يكن على هذا التمنى، توقف  
مؤمن لحظة وأرهف السمع.. كان حواراً خطيراً:

- أيها الرجال.. بقى لنا ثلاثة أيام حتى ننفذ خطتنا.
- يا له من يوم.. كلنا نتنظر هذه اللحظة الحاسمة.
- كلوا يا رفاق.. كلوا واشربوا ودعونا نستهج بهذه المناسبة.

أحس مؤمن بالحيرة.. إن لهجة المتحدثين لم تعجبه.. لهجة أشرار عتاة.. ويا ترى ما هو الشيء الذى ينتظرونه بعد ثلاثة أيام.. ولماذا هم فى سعادة لاقتراب حدوثه؟ أما بلال فلم يعنيه كل ذلك.. فرائحة الطعام كادت تدفعه لاقتحام المكان لولا مؤمن.

- يا إلهى.. رائحة الطعام لذيدة يا مؤمن.. فلندخل ونطلب منهم الطعام.

- انتظر.. استمع لما يقولون.. إنهم مجرمون.

- يا رجال.. يا رجال.. غداً ستتحرك بأقصى سرعتنا..  
حتى نصل إلى اليمن فى الموعد المحدد.. وسنقوم  
باغتيال الملك هناك ونستولى على مقاليد الحكم.. ولن  
يكون هناك من يسمى بالملك حصروم بعد الآن.

- تنبه بلال وقال بسرعة وصوت عال:

- إنه ملك بلادنا يا مؤمن.. إنهم يريدون اغتيال الملك  
حصروم.

وسمع أفراد العصابة صوت بلال فأسرعوا بالخروج  
إليه من مكمنهم ولكنه أسرع بالفرار مع مؤمن، وجريا  
يتعثران حتى يخرجوا من المغارة.. وأصبحت مطاردة.  
وفى جوف الليل أخذا بجريان بكل ما أوتيا من  
قوة.. والعصابة تربو على العشرين فرداً تطاردهم.



الناشطون



ولحقا بالجوادين.. واستطاعا الفرار بهما بعيداً،  
وأخذا ينطلقان ولا يعرفان ما هي وجهتهما.. وبعد  
التعب والظن بأن العصابة قد فقدت أثرهما احتميا إلى  
جبل ثم نزلا وارتاحا أرضاً:

- يا إلهي.. كدنا نضيع يا مؤمن.. إنهم عتاة مجرمون..  
ألم تر أجسامهم الكبيرة ورؤوسهم الحليقة الضخمة..  
وسيوفهم عريضة الصفحة.. يجب أن نشكر الله على  
النجاة.

- دعك من ذلك يا بلال.. ألا ترى أنهم مثلك أيضاً  
يكرهون الملك حصروم.. وأنهم سوف ينزعونه من  
مكانه ويحققون لك غرضك المحبوب؟

- لا يا مؤمن.. عند هذه اللحظة أجد أن حصروم أفضل

من هؤلاء الغزاة.. على الشعب أن يبادر بإصلاح  
الحاكم إذا كان فاسداً.. ولا يدع قوة خارجية تحقق له  
ما عجز هو عنه.

- ماذا تعنى يا بلال؟ والتاج الذى جئنا نبحث عنه؟  
- دعك من أمر التاج يا مؤمن.. إنى لا أفكر الآن إلا فى  
اعتداء المجرمين على بلادنا.. يجب أن نمنعهم بأى  
شكل.. بأى شكل.

وهنا.. وإلى هذه الكلمة.. نظر مؤمن أمامه ليجد  
حوافر الخيل تحيط بهما.. والسيوف الكبيرة مسددة  
إليهما وقال صوت خشن صلف:

- أنتما.. لقد طاردناكما حتى تعبنا.. قوما.. فالرئيس  
ينتظركما فى المغارة.

لم يجد مؤمن قدرة على المقاومة.. وكان عليه إلقاء  
السيف قبل أن يقوم هو وبلال.. وتقدم إليهما رجل  
ومعه خيل وربطهما من الخلف وأمسك طرف الخيل  
يجرهما وراءه، وهو يتقدم على جواده مع بقية أفراد  
العصابة.

ولما وصلوا إلى المغارة.. أدخلوهما على رئيس  
العصابة.. كان غاضباً إلى حد كبير.. وأخذ يحقق  
معهما.. ولما عرف أن بلال من اليمن.. قرر أن يؤجل  
تنفيذ الخطة:

- لماذا نؤجل الخطة أيها الرئيس؟.

- هذان الجاسوسان قد أقلقاني.. ولا بد أنهما قد أبلغا  
الملك حصروم وأنه الآن يستعد لنا.. لذلك سنرسل



رجلا إلى اليمن لاستطلاع الأمر أولاً.. وسنحتفظ  
بهذين الجاسوسين عندنا حتى نتأكد من الأمر.  
وهكذا وجد مؤمن نفسه لأول مرة عاجزاً من فعل  
أى شىء.. خرج بهما المجرمون إلى العراء وربطوا  
كل منهما إلى جذع شجرة ميتة.. ولولا أنهم قد  
قدموا لهما طعاماً.. لقيمات فى الفم لماتا من البرد  
والجوع.

وفى الصباح جاء رجال العصابة يتدربون على  
التصويب بالخناجر.. وضعوا مؤمن هدفاً لهم.. كانت  
لحظات عصيبة له وهو مربوط واقفاً إلى شجرة غليظة  
ويتناوب الرجال رشق الشجرة بالخناجر.. وأدرك لو أن  
واحداً منهم أخطأ الهدف مرة واحدة لأصابه إصابة

بالغة.. أما بلال فكاد يغشى عليه وهو يرى مؤمن فى هذا الموضع الخطر. وفى هذا الموقف العصيب لاحت لمؤمن فكرة أن يتحداهم عسى أن يقلعوا عن استخدامه كهدف لمنافساتهم الخطرة:

- يا رجال.. أنتم لستم ندأ لى.. يمكننى أن أريكم مالا يقدر أحدكم على فعله أبداً.

وبالفعل.. أثارهم التحدى فتوقفوا وأقبلوا عليه يسألونه فى سخرية:

- وهل لمثلك أيها القزم البرىء فى تحدى الجبابرة أمثالنا؟!!

- سأريكم.. ولكن حلوا وثاقى أولاً.. يمكننى أن أسدد بسيف أحدكم أفضل مما تسددون أنتم بالخناجر.

نظروا لبعضهم فى دهشة.. لا يمكن لأحد أن يسدد رمية بالسيف الكبير المنحنى، ولكن واحداً منهم جاءته فكرة مأكرة:

- إذن سيكون صاحبك بلال هذا.. هو الهدف.. سنضع لك تفاحة على رأسه وإذا لم تصبها قتلناك.. هل أنت موافق؟

صرخ بلال فى مؤمن وقد خشى على نفسه الموت:

- لا يا مؤمن.. لا.. أرجوك..

شعر مؤمن بمدى خطورة الفكرة، وقرر التراجع عنها.. لكن أفراد العصابة أعجبهم ذلك.. فحلوا وثاق مؤمن وربطوا بلال بدلا منه.. ووضعوا تفاحة فوق رأسه، ثم أعطوا السيف لمؤمن.. ولما قبض على

السيف ونظر إلى بلال.. كاد بلال أن يغشى عليه من  
الخوف.. لكن مؤمن الذي يعرف جيداً معنى أن يكون  
بيده سيف.. كان حوله أكثر من ستة رجال.. كانوا في  
حالة من الترقب الشديد وانتظار رميته نحو بلال..  
واستطاع أن يوحى إليهم أنه سيفعلها.. ثم بدلا من أن  
يرمى استدار وخطف سيفاً آخر من أحد الرجال..  
وجرى بسرعة نحو بلال فأعطاه السيف.. وقطع قيده  
بسيفه.. ودارت مبارزة حامية وسريعة.. واستطاع  
مؤمن وبلال أن يتغلبا على رجال العصابة وقفزا على  
جواديهما وانطلقا.. لكن بقية أفراد العصابة كانت في  
أثرهما، وكان على مؤمن أن يوجه بلال الذي كان  
معتزلاً.



- يا مؤمن.. لا تذهب إلى هذا الاتجاه.. لا تذهب..  
نحن هكذا نقرب منهم.

- يجب أن تسمع لى يا بلال وأن تستجيب لأوامرى..  
اتبعنى.. كن خلفى.. كن خلفى ولا تبتعد عنى.

خفف مؤمن من سرعته وكاد الجواد يكون ماشياً  
وهو يسلك طريقاً ضيقاً بين جبلين.. كان يمشى فوق  
الصخور ويحاول ألا يسير على الرمال.. وبلال ينفذ  
تعليماته ويسير خلفه، وبعد قليل ظهر عدد من رجال  
العصابة خلفهما ينطلقون بأقصى سرعة.. صاح  
بلال:

- يا مؤمن إنهم خلفنا هيا ننطلق.

- لا.. إياك.. إياك.. كن خلفى.. سر على خطواتى.

وفجأة وبعدما كان رجال العصابة على بُعد قليل وكادوا يلحقون بهما.. إذ بالرمال تغوص بهم.. إنه بحر رمال صغير.. كان بلال ومؤمن ينظران لأفراد العصابة وهم يغيبون بجيادهم كأنهم يفرقون فى الرمال.. يصرخون.. يستغيثون.. لكن هم الذين جنوا على أنفسهم.

- مؤمن.. هذا شىء عجيب.. ومخيف.. كيف عرفت بهذا المكان.. كيف عرفت؟

- أول ما جئنا إلى هنا.. مررت بهذا المكان ونحن نبحث عن مكان جدك.. ولأتنى غزوت الصحراء كثيراً.. ارتبت بهذه البقعة.. فحملت صخرة وقذفتها فيها.. فإذا بها تغيب بسرعة لأسفل.

- مؤمن.. مازال هناك بعض رجال العصابة.. هيا بنا  
نواجههم قبل أن يرجعوا إلى اليمن ويقتلون الملك.  
وعادوا مسرعين إلى المغارة.. وعجبوا أنه لا أثر لأى  
من بقية العصابة:

- مؤمن.. يبدو أنهم فى طريقهم إلى اليمن.. يجب أن  
نلحق بهم..

- لا.. مازال الرجل الذى أرسلوه إلى هناك لم يرجع  
بعد.. إنهم هنا.. هنا فى مكان ما.. ويجب أن نجهز  
عليهم قبل أن يجهزوا هم علينا.. تعال بنا ندخل إلى  
المغارة.. تعال.. كن حذراً.. بلال.. قف مكانك ولا  
تتحرك أى حركة.



عندما هبطا من فوق جواديهما ودخلا إلى باب المغارة إذ بحية من نوع شديدة السمومة تخرج من شق في الجدار وتجد نفسها في المواجهة معهما:

- مؤمن.. يا إلهي.. إنها تستعد للهجوم..

- فقط لا تبد أي حركة.. كن مثل تمثال من الحديد.

مد مؤمن نصل سيفه نحو الحية وأخذ يدير النصل يمناً ويسرة حتى انشغلت به وأخذ يقترب منها وهو يثنى ركبته في حذر بالغ.. ولأنه مارس صيد الحيات في مغامرات سابقة.. فقد بهر بلال وهو يستعد باليد الخالية حتى أطلق راحته نحو رقبتها من الخلف فقبض عليها واستعد بلال لقطع رأسها فرفض مؤمن وأخرج كيساً من حزامه، ثم بحرفية وتمرس قديم وضعها فيه وربط

الكيس وحمله معه، وتعجب بلال من هذا التصرف  
فأجاب مؤمن:

- لقد تعلمت صيد الثعابين بعد تدريب شاق في  
مغامرات سابقة ولا يستطيع أحد صيد الثعابين إلا بعد  
تجارب طويلة وتدريب مضنٍ، ثم إن هذه الحية ستكون  
ذات قيمة في القريب.. إنها سلاح فتاك.

وتقدما ودخلا إلى جوف المغارة.. كانا حذرين إلى  
حد كبير.. يتوقعان ظهور خصم فجأة، ووصلا إلى  
المكان الذي كانت به العصاة من قبل.. ولكنه كان خالياً  
إلا من الطعام والشراب.. وكان الجوع قد ألم بهما إلى  
حد كبير.. فسقطا على الطعام والشراب وتناولوا ما  
أشبعهما.. وهنا زادت القوة.. ودب النشاط والحيوية..

وزادت الجراءة.. وعادا من جديد يتابعان التقدم والتوغل داخل المغارة.. وبعد أن عبرا ممراً وعراً مخيفاً.. سمعا صوت أنين وصوت رجل يتكلم.

- مؤمن.. ما هذا.. إنه صوت أنين امرأة.. أليس كذلك.

- تحرك بحذر.. لا تصدر بقدميك أى صوت يا بلال.. هيا بنا للأمام.

وكانها غرفة على جانب الممر الصخري.. كان يصدر منها ضوء خافت.. وصوت امرأة تن.. اقترب مؤمن ومد عيناً واحدة فرأى رجلين من رجال العصابة يشربان الخمر وأمامهما فتاة جميلة مقيدة ومكمنة.. فما كان منه إلا أن أخرج كيس الحية وفتح الرباط ثم ألقي بالحية بقوة

ناحية رجل منهما ولدغته من رقبته. وقبل أن يفطن الرجل الآخر.. إذ بمؤمن وبلال ينقضان عليه فلم يملك إلا الاستسلام.. وجرى مؤمن فحل وطاق الفتاة.. ولما رآها بلال صاح مندهشاً:

- الأميرة!.. الأميرة نظيرة؟!.. الأميرة نظيرة!.. غير معقول!

- الأميرة نظيرة؟ من هي الأميرة نظيرة يا بلال؟

- إنها ابنة الملك حصروم.. مؤمن.. لقد أغشى عليها.

- اعمل على أن تفيقها يا بلال.. يبدو أننا أمام عصابة

شديدة المراس.. كنت متعجباً أنهم على قلة عددهم

يتكلمون عن محاربة ملك اليمن.. لكن الآن عرفت

أنهم باختطافهم الأميرة يمكنهم التأثير على الملك

ونزعه من عرشه وقتله.

وبعد قليل أحضر بلال طعاماً وشراباً للأميرة.. وأخذ مؤمن يحاول حمل رجل العصابة الباقي على قيد الحياة على الاعتراف على زملائه.. لكن الخمر كانت قد ذهبت بوعيه فأخذ يهذى.. فما كان منه إلا أن قيده مكان الأميرة.. وخرجوا ثلاثتهم وكل همهم الانطلاق بالأميرة والعودة إلى اليمن بأسرع وقت.

لكن أين بقية العصابة.. أين هم الآن.. ولأى شىء يخططون.. وجرى مؤمن وبلال والأميرة بكل سرعتهم وخرجوا من المغارة يحمدون الله على السلامة.. ولكنهم لم يجدوا الجوادين.. وأخذتهم الحيرة.. أين الجوادان؟! ولم يتوقع أى منهم ما حدث.. فبينما هم

على دهشتهم إذ شعر مؤمن وبلال بنصل سيفين  
يسددان إلى ظهريهما.. ولما استدارا بوجهيهما للخلف  
رأوا عدداً كبيراً من رجال العصاة يقفون خلفهم وهم  
يضحكون.. ويا لها من محنة.. وبعد لحظات قليلة  
كانوا في جوف المغارة في مكان ناء منها.. مكان  
مخيف ومظلم ومربوطين بحبال ثقيلة ومتينة.. وكان  
رجال العصاة على وشك الانصراف وقال رئيسهم  
بسخرية:

- ستبقون هنا.. أتعرفون هذا المكان.. نحن نعرفه  
جيداً.. بعد قليل.. يحدث مد مائي.. الماء في الليل  
يخرج من بين الشقوق ومن الأرض والسقف.. وهذه  
الغرفة تغرق كلها بالماء.. وفي الصباح يتناقص الماء



الشيخ الموقر



رويداً رويداً من أين يأتى؟ .. إلى أين يذهب؟ .. الله أعلم.. أما نحن سنذهب إلى الملك.. سنقول له أن يأتى معنا ليستلم ابنته.. بمفرده.. فإذا قام من كرسيه قتلناه.. والآن.. الوادع.

وبسرعة انصرف أفراد العصابة وأخذت الأميرة تبكى.. ومضى الوقت ودخل الليل.. وبدأ الماء يتدفق ببطء من كل الشقوق.. القيد شديد ومحكم.. ثلاثتهم مربوط فى جبل واحد.. حاول مؤمن أن يتفلت منه لكن دون جدوى.. الماء بدأ يتدفق بقوة.. كأنه صنابير فتحت على آخرها من كل مكان.. وازداد منسوب الماء على الأرض حتى غطى أرجلهم كلها.. وأخذت الأميرة تصرخ.. وقال مؤمن:





- يجب أن نقف.. فلنحاول أن نقف سوياً حتى لا  
يغمرنا الماء ونحن جلوس.

وبعد محاولات يائسة.. استطاعوا أن يقفوا، فلما  
وقفوا طمعوا في الخروج وهم على قيدهم هذا.. لكن  
كيف يتقدمون ويصعدون درجات عشر منحوتة في  
الصخر.. ومع ذلك.. حاولوا.. فلما حاولوا وقعوا..  
وكاد بعضهم يغرق الآخر.. فقاموا على التحامهم  
بالقيد.. يتساقط منهم الماء.. وقد أحاط بهم اليأس  
وأدركوا أنهم سيموتون غرقاً لا محالة عندما يغطي الماء  
رءوسهم.. ومرت اللحظات الحرجة.. منسوب الماء  
يزداد.. لا مجال للكلام.. ماذا سيقولون وعلى العقل أن  
يحترق تفكيراً حتى يصل إلى فكرة تنقذهم من الغرق.

ازداد منسوب الماء حتى وصل إلى ما فوق الخصر.. إنه الموت.. فقدوا كل قدرة على التصرف.. استعد كل منهم لأن يواجه الموت ولم يكن بلال يفكر إلا في لحظة وصول الماء إلى فوق أنفه ثم تنفسه الماء، أما مؤمن فهو لا يفكر إلا في وسيلة للخلاص والنجاة.. وفجأة صرخ فيهم:

- ساعداني.. ساعداني حتى نصل إلى الجدار.. ستتقدم إلى الجدار بزحف الأقدام لا يرفع أحدكما قدمه عن الأرض.. تزحف فقط.. هناك صخرة حادة أراها.. إنها تلمع كالسكين.. يجب أن نصل إلى الشفرة الحادة.. سأقطع الجبل بها.

وكان بريق الأمل معيناً لهم على بذل آخر جهد ممكن.. يتقدمون نحو الجدار كتلة واحدة فلما وصلوا..

استداروا حتى أصبح ظهر مؤمن للشفرة الحادة..  
وأخذوا جميعاً يصعدون ويهبطون ويحك مؤمن ظهره  
المحاط بالحبال فى حافة الصخرة الحادة حتى يقطعه..  
الماء يزداد منسوبه بسرعة.. أصبح عند الصدر.. وهم  
مضطرون لأن يهبطوا ويصعدوا فوق وتحت سطح  
الماء.. هيا يا مؤمن.. هيا يا مؤمن.. الماء يزداد.. حتى  
أصبح عند الفم.. يرفعون الوجوه لأعلى.. ومؤمن  
يحاول.. ويحاول.. وكادت الأميرة نظيرة أن تستسلم  
للموت عندما صاح مؤمن.. نجحنا.. نجحنا.. الحمد لله.  
وبسرعة قام بفك الوثاق.. وساعد هو وبلال الأميرة  
وسبحا بها إلى خارج المكان وحمدا الله على السلامة..  
فلما أصبحوا خرجوا من المغارة ووقفوا فى حيرة بالغة.

يجب أن يسبقوا العصابة إلى اليمن.. ويجب أن يعلم الملك أن الأميرة على قيد الحياة وأنها ليست تحت سيطرة العصابة.. قبل أن يغتالوه.. لكن.. لا وجود لوسيلة تنقلهم بهذه السرعة إلى اليمن قبل وصول العصابة.. فما العمل؟

الليل مخيف.. والرياح شديدة باردة.. والملابس مبللة والرغبة في الإسراع قاتلة وقال بلال ييأس شديد:  
- لابد أننا سنموت في هذا المكان بأي شكل من الأشكال.

ولكن مؤمن كان على عهده بعدم اليأس أبداً مادام الله موجود فقال:

- لا يجب علينا أن نقف مكاننا أو نقعد مستسلمين

للموت جوعاً وبرداً.. لا فلنستغل الليل ونسير على  
الأقدام للأمام.. وعسى أن نعثر على من يوصلنا إلى  
اليمن، واستجاب بلال ونظيرة وتقدموا كلهم.. لكن  
مؤمن توقف فجأة وصاح:

- بلال.. جوادانا.. لا يمكن أن يأخذوهما معهم..  
كما أن عدد أفراد العصابة قد نقص بسبب قتالنا  
إياهم.. ولا بد أن هناك في مكان ما توجد جياد  
كثيرة.

- غير معقول يا مؤمن.. غير معقول.. هل يمكن أن  
يكون رئيسهم بهذا الغباء.. يتركون لنا ما يمكننا من  
اللحاق بهم.. لا.. دعك من هذا يا مؤمن.

وهنا خرجت نظيرة عن صمتها وقالت وهي ترتعد:

- قد يكون كلام مؤمن صحيحاً.. فعدد الجياد يمكن أن يعيقهم عن الإسراع لليمن.

- شكراً لك يا نظيرة.. عفواً أيها الأميرة.. لكن أين.. أين.. فكراً معي فكراً.

- القمر ينير الأرض.. فلنراقب الأثر.. الأثر يا مؤمن.

كانت نظيرة محقة.. فقد رجعوا مسرعين أمام المغارة وراقبوا الآثار.. وعرف مؤمن الفرق بين الأثر القديم والحديث.. وتبعوا أثراً ظنوا أنه الصحيح وقد كان.

فبعد مسافة قصيرة رأوا مغارة صغيرة.. ولما دخلوا وجدوا الجياد تربو على الخمسة وإلى هنا كانت النجاة ممكنة.. امتطوا ظهور الجياد.. وانطلقوا يشقون الهواء ليلحقوا بالملك قبل وقوع المحذور.

كانت الرحلة طويلة.. وعانوا فيها معاناة شديدة..  
ومرت أيام عديدة.. وكانوا يتمنون لو لحقوا بالعصابة  
قبل وصولها.. لكن أدركوا أنهم قد سبقوهم.. فها هي  
أبواب المملكة تلوح من بعيد.. ولا أثر للعصابة.. فهل  
نجحوا في مهمتهم، وعندما وصلوا للباب سألوا الحراس  
فأخبروهم أن العصابة قد توجهت إلى القصر توأ  
فهرعوا تخفق قلوبهم.

أما في القصر.. فقد كان رئيس العصابة يأمر الملك  
ويقول له:

- ابنتك الأميرة نظيرة في مكان ما عندنا.. وإذا أردت أن  
تبقها على قيد الحياة فعليك أن تخلي القصر كله من  
الحراس حتى نتفق على كل شيء.



وأمر الملك حصروم كل الحراس بالخروج من القصر.. وهنا تقدم رئيس العصابة ونزع سيفه من غمده.. وأشار به إلى الملك وقال:

- هؤلاء رجالي.. سيحكمون البلاد بعد رحيلك.. أحب أن أخبرك أن الأميرة نظيرة الآن فى العالم الآخر.. ولأنك تريد أن تراها فيجب أن أرسلك إليها هناك.. ها ها ها.. الوداع أيها الملك.

وطوح رئيس العصابة سيفه ليطيح برأس الملك حصروم.. ولكن الباب انفتح بقوة واندفع مؤمن وبلال ونظيرة للدخل.. وتبعهم الحرس ودارت مبارزة جماعية شرسة.. وعنيفة.. وسقط الملك حصروم بعرشه للخلف.. فانكسر العرش وتحطم إلى عدة قطع.

وأخذ مؤمن يقاتل مع بلال والحرس ضد أفراد العصابة العتاة الذين كانوا على بأس شديد وقوة لا يستهان بها.

وجرى مجموعة من الحرس والتفوا حول الملك حصروم وابنته الأميرة نظيرة.. وتمكن الباقي من قتل معظم أفراد العصابة.. وبقي القليل فقبضوا عليهم.. إلا أن مؤمن تصدى لرئيسهم الفتى ودارت مبارزة حامية.. كاد مؤمن أن يموت بسيف المجرم الشرس.. إلا أن بلال قذف بسيفه إلى صدر المجرم فقتله في الحال.. فضحك مؤمن وقال:

- لم أعرف أنك ماهر في قذف السيف يا بلال..

ولم يجب بلال.. بل لم يكن ينظر لمؤمن.. كان شاخصاً بصره إلى العرش المكسور.. ثم جرى إليه ومد

يده فى شق كبير بقاعدته وأخرج تاجاً جميلاً مرصعاً  
وهو يصيح:

- تاج جدى.. تاج جدى يا مؤمن.. هذا هو التاج..  
يا إلهى.. يا إلهى.. ما أجمله.

كان موقفاً مهيباً.. وعجيباً.. أين ذهبوا للبحث عن  
التاج.. ثم أين وجدوه.. عرف بلال أن هذا العرش كان  
عرش جده.. وأنه أخفى التاج بداخله.. وقال الملك:  
- لم أكن أعلم أنه هنا.. لقد بحثت عنه كثيراً.

وهنا قال مؤمن لبلال:

- أرنى هذا التاج يا بلال.. هذا الذى كانت حياتنا  
ستضيع من أجله.. شىء غريب.. كيف لهذا التاج أن  
يكون مصدر قوة للملك.. ثم بعد ذلك أصبح عديم

القيمة.. إنه مجرد تاج عادى.. ولا بد أن جـدك كان يتفـاعـل به.

أحس الملك حـصروم بالامتنان لمؤمن وبلال.. وأدرك أن ممارسته السيئة فى ظلم شعبه قد أفرزت له كراهية شديدة.. وبينما هو يعتذر لبلال إذ بمؤمن يصرخ وهو يمد أحد أصابعه فى فجوة بقاعدة التاج.

- انتظروا.. بداخل التاج صفحة صغيرة من الفضة..  
انتظروا.. لابد أن بها شيئاً مهماً.

تجمعوا حوله وهو يخرج شريحة فضية منقوشة بعناية وكان عليها آية من القرآن الكريم تقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨ ، ٢٩].



حدث وجوم طويل فى باحة القصر وكل منهم يفكر فيما تعنيه هذه الآية.. ولكن مؤمن قد فهم الحكمة وقال لبلال:

- أنا عرفت لماذا كان لهذا التاج قيمة غير عادية.. هذه الآية.. هذه الآية كأنها تحذير لمن يرتدى هذا التاج.. إن من أعطاه الله نعمة الملك وجلس على عرش يحكم البلاد أو فى أى منصب يقود فيه الناس.. فعليه أن يؤدى شكر هذه النعمة وأن يحترمها وألا يبدلها إلى ظلم للناس ويتعدى على حقوقهم.. نعم يا إخوانى.. فمن فعل ذلك.. اشتد ملكه ونما رخاؤه.. ومن لم يعمل بها وكفر بنعمة الله عليه وبديلها إلى ما لا ينبغى لها.. فيزول ملكه ويذهب

جأه وعرض أهله وقومه إلى الضياع.. وهنا صاح  
الملك:

- أنت رائع يا مؤمن.. أنت أكثر من رائع.. يا إلهى..  
كم كنت أبحث عن هذا التاج حتى أستخدمه فى  
تنمية قوتى وترسيخ ملكى فى البلاد.. وها أنا الآن  
وهو بين يدى لا أحتاج إليه.. لقد فهمت حكمته..  
وعلى أن أغير أسلوبى فى مملكتى ولن أبذل نعمة الله  
على كفرة.. ومن الآن سأعلن للشعب كله أننى  
سأخرج لهم ثرواتهم التى انتزعتها منهم.. وسأعيد  
للبلاد العدل والرخاء.

أخذ بلال التاج وضمه إلى صدره وقال:

- وأما أنا.. فقد كنت حريصاً على طلب الملك

والسلطان.. أما الآن فإنى وجدتها مسئولية شديدة  
الخطورة.. تحتاج من الإنسان إلى أن يكون مخاطرًا  
بحياته.

نظرت نظيرة إلى مؤمن مبتسمة وقالت:

- أما أنت يا مؤمن.. فلا أدري كيف أشكرك على ما  
قدمته من شجاعة وحرص على حياتي.. أنت شاب  
نادر.. نادر.

- همَّ مؤمن بالانصراف ليعود إلى مصر.. ولكن الملك  
استوقفه وتقدم منه وعانقه على ما كان منه من تعاون  
وحكمة.. ثم مد أصابعه إلى خاتم ثمين له ونزع منه  
جوهرة أو ماسة صغيرة وقال له:

- أما الخاتم فلا أعطيك إياه.. لأنه ذكرى من أجدادى..



ولكن الماسة النادرة فهى من حقك.. أقل ما أستطيع  
أن أكافئك به على ما قدمته لى ولملكتى ولابتى من  
عون.

نظر مؤمن للماسة الجميلة ووضعها فى جيبه وهو  
يبتسم ويقول.. الحمد لله.

تمت بحمد الله تعالى

\*\*\*